كتاب الصناعتين ، والعمدة ، وسرّ الفصاحة

وضع أبو هلال[1] الحسن بن عبد الله العسكري (٣٩٥ هـ) كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر ، وقدّم له بمقدمة ذكر فيها السبب الذي دفعه إلى وضع كتاب في علم البلاغة ومعرفة الفصاحة فقال : « إن أحق العلوم بالتعلّم وأولاها بالتحفظ ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ، علمُ البلاغة ومعرفة الفصاحة ، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ... » ثم قال : « ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة » وخلاصتها عنده أن يجوّد صاحب العربية لغته ، وأن يميز بين الجيدّ والرديء من الكلام . وضرب كثيراً من الأمثلة التي تشهد بتخليط أصحابها وفساد أحكامهم ، وأشاد بكتاب البيان والتبيين للجاحظ ؛ ولكنه أخذ عليه ضياع البلاغة في تضاعيفه ، وبعثرة مباحثها في استطراداته ، وانتهى من ذلك إلى وجوب وضع كتاب في هذا العلم يجمع كلَّ ما يُحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه . قال أبو هلال : « فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام ، فيما راموه من اختيار الكلام ،

(١) ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ١٣٥ ، وبغية الوعاة : ٢٢١ ، وخزانة الأدب ١ : ١١٢